

# بالحب وحده يحيا الإنسان محمد خير الجراح في «سلطان زمانو».. مساحات ترفيهية ومعالم روحية ووفرة في المشاعر



وائل العديس |

## النص قدّم حواراً حضارياً عبر عرض تناول فيه مشكلات المجتمع

الموهوبين رغبة في إثراء المشهد الفني من خلال التقنيب عن وجوه محترفة اكتسبت خبرة تؤهلها لنيل إعجاب عشاق المسرح، وبالتالي المساهمة في تحقيق نبضة ثقافية وإبداعية متجددة. ومن المؤكد أن هذا التجمع يتوخى مجموعة من الشباب من محترفي المسرح الذين اكتسبوا تكويناً مسرحياً وثقافياً ومعرفياً، ويمتلكون إبداعاً وحساً فنياً مسرحياً مرمهاً. وقد تمت المراهنة على مثل هذا التجمع من أجل الدفع بالنجوم المشاركين نحو لوج أفق أوسع، تبذل فيه الجهود المضاعفة لإعداد وتقديم عروض لائقة.

### ما بين النص والإخراج

يعرف محمد خير الجراح بأنه ابن المسرح أباً عن جد، ويأتي لديه الهاجس في تقديم مسرح خاص شعبي متنزّح بعيد عن الابتذال والتبرج. ولذلك يحتوي العرض على وفرة من المشاعر بطريقة بسيطة، فالقصة المروية ممكن أن تكون قد شاهدناها بالكثير من المسرحيات والمسلسلات والأفلام ولكن ميزة العرض هي أهمية التناول، فاستطاع الجراح بخبرته المسرحية الكبيرة أن يقدم قصة قد تكون تقليدية ولكنه تمكن بلمسته الساحرة وبمشاعره أن يقدم من خلالها ما أُنبل ما يمكن للفن المسرحي أن يوجد به.

كما أن النص الذي كتبه سعيد حناوي قدّم حواراً حضارياً عبر عرض تناول فيه مشاكل جميع شرائح المجتمع وعلى الأصدعة كافة.

### مسرح سورية

وتكمن أهمية تأسيس تجمع «مسرح سورية» في الإقدام على إعادة تحديث مسرح الخيام الذي احتضن هذا المشروع، أخذاً بعين الاعتبار رمزيته كتراث مسرحي وقف على خشبته أهم الفنانين منذ تأسيس المسرح السوري. كما أن هذا التجمع بات فرصة سانحة لاستيعاب الفنانين

### بين التسلية والتوعية

المسرحية شعبية تقدم باللغة العامية أو باللهجة الدارجة، وتعتمد على المواقف المضحكة والحركات الهزلية إضافة إلى فقرات الرقص والغناء، وهو النوع الذي يجتذب أعداداً غفيرة من المتفرجين الذين لا يجدون مجالاً للتسلية غير مشاهدة مثل تلك العروض، في وقت اسودت الحياة في وجوه كثير من الناس بسبب الظروف الصعبة وتبعات الحرب على سورية. العرض خلق عالماً متخيلاً عمل على إيجاد مساحات ترفيهية ثقافية، وخلق معالم روحية تستفز المدرك العقلي والحسي عند المتلقي، والكوميديا فيه مدت المتلقي باستنصار لا يتناول الحياة الإنسانية في أزمتها المجردة والعواطف الرقيقة المتصلة بها فقط، بل أكتت أيضاً على سلوكيات المجتمع وطرائفه ونقاط الضعف عنده، بذلك بدت علاقة الجمهور بالمسرح مقاربة عن طريق شيفرة النص وبنيت الدالة. ولم تكف المسرحية في الإضحك فقط، بل وضعت يدها على الجرح من خلال تسليط الضوء على واقع المجتمع بإيجابياته وسلبياته بأسلوب سلس دخل إلى قلوب الناس ببسر وسهولة، مع الإيمان بأن الفن يجمع أنماطه لا يمكنه إحداث تغييرات جذرية في المجتمع والواقع المعيشي. الملفت بالمسرحية بأنها خصت العائلة بأكملها لتلعب دوراً في لم شملها في وقت واحد، يتلقى من خلالها الجميع وجهة فنية ووقتاً سعيداً للتسلية والترفيه، فضلاً عن جوانب أخرى كثيرة من صلب الواقع، بحيث تضرب عصافيرين

### عصر السرعة

رغم معاشتنا لعصر السرعة، إلا أن الخطوات الفنية باتت تطبع تقدمنا، فتجعلنا نقدم أعمالاً باهتة أفقدتنا الروح بعد أن أجبرنا على اختزال الوقت وطوي المسافات، ويقدر ما يقدم لنا هذا العصر من رفاهية مجبولة بالسرعة والاتقان بأقل مجهود، نجدّه يطالبنا بالإحاح بأعمال وإجهد مضاعف للذهن، حيث نعيش متأهين لاختزال الأفكار الغزيرة المتناقضة واختزانها. ومع تطور وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح الناس يتوقون لأقصر وأبسط المواضيع بعيداً عن التعقيد، لدرجة جعلت بعض الجهات الإنتاجية تطرح مسلسلات قصيرة تُعرض عبر اليوتيوب، تمنح المشاهد حرية اختيار الوقت الذي يناسبه للمشاهدة في وقت لا يتعدى الربع ساعة على الأكثر. كل ما سبق يجعل إطلاق عمل فني طويل محقوفاً بالمخاطر ونوعاً من المجازفة، لكن الأصبعب أن تجبر الناس على التسمر ثلاث ساعات متواصلة، مشدوهين وموجهين أنظارهم إلى مكان واحد من دون كلل أو ملل، في حين تكمن الصعوبة الأكبر في إضحك الناس في هذا الوقت العصيب. وتقول إحدى النظريات إنك عندما تتفاعل مع عرض ما وتضحك، فأنت تظهر لأصحابه أنك تحبهم وتتفق معهم، وأنتك منسجم معهم. مسرحية «سلطان زمانو» التي تتابع عروضها للأسبوع السادس على التوالي، نجحت في اجتذاب الناس، بطروحات ومواضيع مختلفة في إطار كوميدي ترفيهي ساخر وهادف.

في محاولة لإعادة أمجاد المسرح الشعبي إلى سابق عهده، وعلى مسرح الخيام بدمشق، يستمر تجمع «مسرح سورية» بعرض مسرحية «سلطان زمانو» أيام الخميس والجمعة والسبت من كل أسبوع، بدءاً من الثامنة والنصف مساءً، وهي مسرحية اجتماعية كوميدية ناقدة من بطولة وإخراج النجم محمد خير الجراح، وإنتاج أسامة سويد، ونص وتعاون فني سعيد حناوي، وكلمات الأغنيات للشاعر مضر شغالة والألحان لعن دوارة. ويشارك في التمثيل أيضاً مجموعة من المواهب التمثيلية التي تستحق الوقوف عندها وهي أريج حضور وفادي حموي ورشارستم وأحمد حجازي وسهير الشماط ومحمد سويد، إضافة إلى فرقة جنار للمسرح الراقص بقيادة الفنان علي حمدان، والراقصين هم بسمة الهابط وروان الرحية وإبراهيم كربوج وجهاد السقا وظهور خاص للنجم محمد قنوع. وتستمر العروض حتى حلول شهر رمضان المبارك والانشغال بالدراما التلفزيونية، على أن يتخلل هذا الوقت عروض في عدد من المحافظات السورية. وبدا العرض قريباً من الناس، يشبههم ويشبهونه، ويروي حكاية رجل يقع بفرام امرأة «بنت عمه» تعمل في تياترو ويقفل المستحيل للوصول إليها.

## شارك في ميسلون واعتقل في أرواد

# خالد الخطيب الطبيب الجراح الأديب الخطيب الشاعر (١٣١٧ - ١٣٥٢ هـ - ١٨٩٨ - ١٩٣٣ م)

وكتب يصف سجن جزيرة أرواد وشبهه بسجن الباستيل الشهير بباريس:  
أرواد في دار يؤس عنها المظالم تروى  
لأنت الباستيل هذي البلاد يا شرّ منوى  
وكان شاعرنا متنوراً بامتياز، فقد دعا إلى تحرر المرأة بقصيدة نُشرت في عشرينيات القرن المنصرم، ومما جاء فيها:  
وأهوى ولكن فتاة العلي لها المحدثاؤ بما تداب  
أحب الفضيلة في شخصها وأهوى حديثاً لها يُنسب  
فتاة البلاد متى تصحبين فتاة هي المثل الأعجب  
فلا الشرع يقني بأن تحرمي من العلم كلا ولا المذهب  
وكتب - تعاطفاً مع الشعب الياباني - يصف كارثة الزلزال الذي ضرب مدينة يوكوهاما اليابانية بتاريخ ٩ أيلول ١٩٢٣، وأتى عليها كاملة ولم يبق فيها حجراً على حجر:  
خطب ألم بيوكوهاما لم يقع أهد الدهور  
دك الجبال بقوة الزلزال قاصمة الظهر  
ومن شعره الوطني الداعي فيه للوحدة العربية:  
يا حماة البلاد أهل الحمية أسمعونا صوت النفوس الأبية  
أسمعونا صوتاً يرئ صدها في صدور المجالس الغربية



الدستور لعرضه على الجمعية التأسيسية، والمقالة الثانية عنوانها: «الدين والقومية» نُشرت في مجلة «السيدات والرجال» الصادرة في القاهرة في شهر أيلول ١٩٢٨، أما الخطاب فقد كان في رثاء الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى خلال حفل تأبيني له في عمان بتاريخ ١٤/٧/١٩٣١. غير أن أكثر ما اشتهر به علماً هو نظم الشعر، ومما كتبه لوالده في أثناء وجوده في سجن قلعة أرواد:  
أبي إن سجنحت فلا تيك فما أنا أول سيف عُمد  
وما السجن إلا عرين الأسود ومن لا يجل عرين الأسد

بعد مرور عشر سنوات على وفاته، زار قبره صديقه في الجهاد «محمد سعيد غنيم» الذي شاركه في معركة ميسلون، فقال له إسمال القبر، وشيّد له مقاماً يليق بمكانته الجهادية. كتب الدكتور الخطيب عشرات المقالات في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في عشرينيات القرن الماضي، كما ألقي في المحافل والمهرجانات والمناسبات الوطنية خطاباً رائعة باتت حديث الناس في ذلك الحين. لكن إنتاجه الأدبي هذا فقدّ عدا مقالاتين وخطاب واحد، المقالة الأولى عنوانها: «دستور سورية الجديد» نُشرت في جريدة المقطم القاهرية بتاريخ ١٥ آب ١٩٢٨ عقب ظهور

العربي، الذي هبّ ملاقة الفرنسيين في ميسلون بقيادة يوسف العظمة عام ١٩٢٠، وأدى دوره كاملاً، فقد كان يتنقل ورفاقه بين صفوف المقاتلين تحت القصف؛ لإنقاذ حياة المصابين، بعد المعركة، اعتقله الفرنسيون مع غيره من الوطنيين، وحكم عليهم بالإعدام، ثم خُفف الحكم إلى السجن في جزيرة أرواد، وأُفرج عنه فيما بعد شريطة عدم الظهور أمام الملأ، ولكنه أودع السجن مرة أخرى ليفرج عنه لاحقاً، وفي كلا المرتين أصبح أشد إيماناً بعقيدته الوطنية. بعد إخماد ثورة المجاهد فوزي القاوقجي في حماة ضد الفرنسيين عام ١٩٢٥ التي اشترك فيها، فر إلى حمص بعد أن بحث الفرنسيون عنه، ليلتحق بثورة جبل العرب وغوطة دمشق، وتعرض للموت أكثر من مرة، وكان يهتم بمعالجة الجرحى والمرضى بإنسانية قل نظيرها، ثم غادر إلى عمان ومكث فيها مدة، ولكن الإنكليز أخرجوه منها تودداً للفرنسيين، وغادر إلى مصر حيث تعرف على امرأة إنكليزية واقترن بها، واستطاع العودة إلى عمان حيث افتتح عبادة له بجبل عمان، وبقي يعمل فيها حتى وفاته، وكان فقده خسارة قومية فادحة، وقد وصفه الزركلي صاحب الأعلام بأنه كان شريف النفس، أياً، فيه أريحية كاملة وفتوة. بعد وساطات سمحت السلطة الفرنسية بنقل جثمانه من عمان إلى دمشق، حيث دفن بمقبرة الباب الصغير، بعد أن رفض الفرنسيون دفنه في مسقط رأسه حماة خوفاً من نشوب المظاهرات ضدّه. وقد نعته الأمة العربية جمعاء، فأقيمت له مجالس العزاء والنذوات التكريمية في حماة ودمشق والقاهرة وعمان، وأبته في حماة الشاعر بدر الدين الحامد بقوله:  
يا معقل الأحرار يا أرواد كم من سيدٍ قيّدته بصفاد  
والسجن للأحرار ليس بضائرٍ إن السيوف تُقَر في الأغناد

نبيل تلو |

لا أدري لماذا بعض أدباء بلادنا الحبيبة سورية لا تكاد تتقطع أخبارهم ومآثرهم وتداول كتاباتهم، في حين أن آخرين يلغهم رداء النسيان، وإنتاجهم الفكري يبقى مدفوناً تحت غبار الإهمال، ومن هؤلاء الشاعر خالد الخطيب، الذي دنوت منه من خلال كتاب كتبه ابن صديق له، فأكبر نضاله الوطني ضد الفرنسيين، وأعجبت بجزالة ما نظمه من شعر، شكلاً ومضموناً، وقد رأيت نقل معرفتي البسيطة عنه إلى كرام القارئ والقرء عبر هذه المقالة، راجياً أن يتذكروا ما نسوه، وأن يتعرفوا على ما لا يعرفونه.

خالد بن محمد سليم الخطيب، ولِد بحى المرابط بمدينة حماة، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدارسها، ثم دخل معهد الطب في دمشق، وتخرج فيه طبيباً جراحاً، وقد اشتهر وهو على مقاعد الدراسة بالنجابة والذكاء والجرأة وقوة الشخصية، كما اشتهر خطيباً بارعاً. توفي الدكتور خالد الخطيب طبيباً عسكرياً في الجيش